

## نشأة الصحافة في الجزائر

أ. كرليل عبد القادر

يرى أغلبية المؤرخين، والباحثين في تاريخ الجزائر عامة والجانب الإعلامي خاصة بأن ظهور الصحافة المكتوبة في الجزائر يعود إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي عام 1830<sup>(1)</sup>.

يقول زهير إحدادن في إحدى محاضراته التي ألقاها حول موضوع الإعلام قبل الثورة: " من المعلوم أن الصحافة ظاهرة جاءت بها الاستعمار إلى الجزائر، وعندما بدأت تنتشر في الأوساط الإسلامية الجزائرية، كان الجزائريون هم الذين كانوا يجركونها، وكانوا يقصدون بذلك إقناع المسلمين الجزائريين بأن أحسن وسيلة يستعملونها للدفاع عن حقوقهم هي وسيلة الصحافة، وأن هذه الوسيلة تفيدهم أكثر ما تفيدهم الأسلحة الفتاكة التي لا تطرح المشكل أو المشاكل وإنما تزيد في تعقيدها." <sup>(2)</sup>

فقبل تاريخ 1830 لم تشهد الجزائر ميلاد صحيفة إعلامية، وهذا التأخر لا ينسب للجزائر فقط، وإنما حتى العالم العربي الذي شهد بدوره تأخرا في هذا الميدان باستثناء جريدة واحدة أصدرها محمد علي بالقاهرة عندما كان واليا على مصر أيام الدولة العثمانية، في إطار إصلاحاته المشهورة سنة 1828 باللغتين العربية والتركية.<sup>(3)</sup>

إن جذور الصحافة في الجزائر، تعود إلى بداية احتلال الفرنسيين للجزائر، وقد كان هؤلاء مصحوبين بمختلف أنواع المعدات العسكرية و أفراد رجال الثقافة و الإعلام المزودين بدورهم بالوسائل الإعلامية، من مطبعة و هيئة التحرير، انكبت على الفور على نشر جريدة تدعى " لستفيت دالجي " (Estafette d'Alger)<sup>(4)</sup>

هي أول جريدة تصدر في الجزائر باللغة الفرنسية ، يشرف عليها ضباط من الجيش الفرنسي<sup>(5)</sup> ، وكانت تتولى جمع سلسلة من الأخبار و المعلومات التي لها صلة بما يجري من مستجدات عن السياسة الفرنسية و عن الحملة الفرنسية التي يقودها الجيش الفرنسي المتواجد في الجزائر .

و بعد أن تمكن الغزاة من احتلال الجزائر، و المكوث فيها تم الاستغناء عن هذه الجريدة التي لم تر الوجود سوى في عدد من فقط.<sup>(6)</sup>، لأنها كانت وليدة الظرف ، ثم عوضت بالعديد من الجرائد التي تخدم مصالح فرنسا وتشرف عليها السلطات الاستعمارية في الجزائر، ساعية من وراء إنشائها إلى تحقيق الرسالة الاستعمارية ، ومن أجل بلوغ ذلك تم توفير كل الإمكانيات المالية والمادية لها لضمان استمراريتها وأداء رسالتها ونذكر من هذه الجرائد : الجريدة الرسمية " الممرن الجزائري " (Le moniteur Algérien) الصادر يوم 27 جانفي 1832<sup>(7)</sup> ، باللغتين الفرنسية والعربية وقد استمرت في الصدور أكثر من خمسين سنة.<sup>(8)</sup>

بعدها قامت السلطات الاستعمارية بإصدار صحيفة ثالثة وهي " النشرة الرسمية لعقود الحكومة " (Bulletin officiel des actes du gouvernement) وقد صدر العدد الأول منها في 20 أكتوبر 1834.<sup>(8)</sup>

ثم جريدة " الأخبار " بعنوان عربي اللغة وفرنسي الحروف ، التي تم إصدارها تسع سنوات بعد الغزو الفرنسي بمقتضى قرار المارشال « كونت فالي » و بالتحديد يوم 12 جويلية 1839 ، و استمرت إلى غاية 1898<sup>(9)</sup> .

هكذا بدأت الصحافة الفرنسية في الجزائر تتكون شيئا فشيئا بإشراف أقلام فرنسية في أول الأمر ، ولإعطائها مصداقية أكثر ، وضمان البقاء لها وطول العمر ، عمد الفرنسيون إلى تكوين نخبة جزائرية باللغة الفرنسية ، حتى يساهم

الجزائري بدوره عن وعي أو عن غير وعي في اعتماد هذه الجرائد و تقريريها من المواطن الجزائري .

ونظرا للدور الذي كانت تقوم به هذه الجرائد خدمة للرسالة الاستعمارية في الجزائر ، ظلت قائمة وفي تزايد مستمر ، و بكثير من العناية والاهتمام إلى غاية رحيل فرنسا عن الجزائر .

لكن هذه الصحف لم تجد نفسها طوال هذه الحقبة من الزمن وحدها في الساحة الإعلامية ، بل ومع مرور الزمن وتطور الأحداث نافستها أعداد كبيرة من الصحف التي يمكن تصنيفها في مجملها إلى ثلاثة أصناف وهي:

1 — الصحافة الحكومية .

2 — الصحافة الأهلية .

**الصحافة الحكومية :**

عندما تمكنت السلطات الاستعمارية الفرنسية من بسط نفوذها وبلوغ رسالتها الاستعمارية على أرض الجزائر، باحتلالها شمال الجزائر و ردع المقاومات الأولى التي اعترضت سبيل الجيش الفرنسي عند إنزاله على شواطئ سيدي فرج ، وذلك بالقضاء نهائيا على مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري 1837 — 1847 ، ومقاومة الأمير عبد القادر التي كانت على وشك القضاء عليها 1832 — 1848 ، شرعت في تطبيق مرحلة ثانية لا تقل أهمية عن سابقتها حتى تكتمل الرسالة الاستعمارية كاملة و بدون نقصان ، وهي التفرغ للمجال الإعلامي أكثر من أي وقت مضى لنسج شبكة للاتصال بالرأي العام الجزائري قصد استغلال عقول الجزائريين و استعباد أفكارهم بعد أن فرضت هذه السلطات الاستعمارية الاحتلال بقوة السلاح .

و من أجل تحقيق ذلك عملت على إنشاء مجموعة من الصحف تشترك جميعها في الأسلوب و الأهداف ، حيث كان من واجبها أن تلعب دور الوسيط بين الغزاة و الجزائريين و لما كانت اللغة العائق الكبير في تحقيق ذلك ، لكون الجزائريين غرباء عن اللغة الفرنسية ، كان لزاما على السلطات الفرنسية أن تصدر جرائد باللغة العربية إلى جانب الجرائد الفرنسية التي سبق و أن بدأت في نشرها .

و قد كانت الجرائد الصادرة باللغة العربية شأنها شأن الصحف الصادرة بالفرنسية تحت إشراف الحكومة الاستعمارية ، وقد كان الحاكم العام مكلف بإدارة شؤونها ، الأمر الذي دفعنا إلى تسميتها بالصحافة الحكومية .

فما المقصود إذن بالصحافة الحكومية ؟

المقصود بالصحافة الحكومية ، تلك الجرائد التي تشرف عليها الحكومة الاستعمارية بتكليف الحاكم العام الذي يدير شؤون الجزائر للإشراف عليها بصفة مباشرة ، شأن جريدة " المبشر " أو بطريقة غير مباشرة ، عن طريق الدعم المالي و تسهيل مهمة العمل مثل جريدة " كوكب إفريقيا " و جريدة " النجاح " في وقت لاحق.(10)

يقول الدكتور أحمد الخطيب عن الصحافة الحكومية التي سُمّتها بالكولونية :  
" اتسم تاريخ الصحافة في الجزائر منذ الاحتلال بظهور الصحف الفرنسية الكولونية ، التي كانت تتبع في طباعتها و إصدارها نفس النمط المتبع في فرنسا كما أنها كانت سياستها العامة امتدادا للصحافة... بأحزائها و مواقفها المختلفة مع اهتمام زائد بمصالح الكولون في الجزائر و إهمال مصالح الجزائريين " .(11)

وهكذا فبعد مرور أكثر من سبعة عشر عاما عن الوجود الفرنسي في الجزائر أدركت السلطات الفرنسية مدى ضرورة إنشاء جريدة فرنسية الإدارة و جزائرية اللسان ، و لا يعني استعمال اللغة العربية المكسرة حب فرنسا للعربية ، وإنما كان إصدار جريدة " المبشر " باللغة العربية ، أول جريدة في تاريخها الجزائر تمهيدا لعالم الصحافة العربية في بلادنا بعد الصحافة التي أنشأها المستعمر باللغة الفرنسية فور وصوله إلى الجزائر .

إن إنشاء هذه الجريدة له أكثر من دلالة حيث تبين لقادة جيش الغزاة بأن الاستعمار العسكري المعتمد على القوة غير كاف لأنه كان سببا في تعميق الانشقاق و عدم الانسجام و التجانس بين الجنسين ، الفرنسي و الجزائري ، ولذا لجأ الاستعمار إلى طريقة أخرى أكثر مرونة و دبلوماسية لتغطية النقص الذي نجم عن الأسلوب العسكري هو الاهتمام بقطاع الإعلام الذي عن طريقه يمكن السيطرة على عقول الجزائريين، وبالتالي يتم إخضاعهم فكريا بعد أن تم إخضاعهم عسكريا<sup>(12)</sup> ، وبذلك تكتمل الرسالة التي تسعى إلى تحقيقها السلطات الاستعمارية و هي استعباد الشعب الجزائري ماديا و معنويا .

ففي تاريخ 15 / 09 / 1847.<sup>(13)</sup> ظهرت جريدة " المبشر " النصف شهرية باللغتين العربية و الفرنسية ، و كانت فكرة تأسيسها من وحي ملك فرنسا لويس فليب الذي أمضى مرسوما بشأن تأسيسها ، و بادر الجنرال دوماس (Dumas) إلى تطبيقه<sup>(14)</sup> .

لقد كان لصحيفة " المبشر " دور كبير في الساحة الإعلامية ، إذ كانت بمثابة لسان حال الحكومة الفرنسية في الجزائر التي جعلت منها نشرية رسمية تطلع الولاية العامة ، غير أن طابعها الاستعماري الحض في بداية ظهورها ، جعلها في

شبه عزلة ولولا تفتن مسيرها الذين أخرجوها من طابعها الاستعماري لظلت كذلك و لما حظيت باهتمام المسلمين الجزائريين بها ، فقد سمح بنشر بعض كتابات و مقالات الجزائريين التي تقتصر على النشاط الثقافي العربي الإسلامي . و فعلا فقد بلغ هذا التغيير في المضمون هدفه المتمثل في رواج الجريدة و تمديد عمرها إلى غاية عام 1927<sup>(15)</sup> ، و كذا مراجعة مدة الصدور التي كانت في البداية نصف شهرية إلى غاية عام 1861 تحولت بعد ذلك إلى عشرية ، ثم أصبحت أسبوعية في آخر مرحلتها ، وذلك ابتداء من شهر سبتمبر 1866<sup>(16)</sup> . و التحرير في تغيير مدة صدورها من نصف شهرية إلى شهرية ثم إلى أسبوعية و صوّته الجريدة في عددها الصادر يوم 30 سبتمبر 1847 ، عندما قالت بأن ذلك يرجع إلى الإقبال الكبير للقراء على أعدادها ، الأمر الذي دفع الحاكم العام إلى الموافقة على ذلك لإرضاء رغبة قرائها الأوفياء لها .

ظلت جريدة " المبشر " قائمة إلى غاية عام 1827 ، و هي السنة التي توقفت فيها و أضحت تسمى " الجريدة الرسمية " ، و من ثم تخصصت بصفة كلية لنشر المراسيم و القوانين التي تصدرها الإدارة الاستعمارية في الجزائر .

و عن الأهمية والدور اللذين لعبتهما صحيفة " المبشر " في الساحة الإعلامية بصفة خاصة ، و مدى استفادة الصحفيين الجزائريين منها بصفة عامة يقول الأستاذ إحدادن :

" و الحقيقة أن جريدة " المبشر " لعبت دورا كبيرا في إظهار الصحافة الجزائرية فلقد كانت بمثابة مدرسة تخرّج منها الصحفيون الأوائل الذين أنشؤوا الصحف باللغة العربية في الجزائر مثل محمود كحول و مامي إسماعيل اللذين أسندت إليها الحكومة الاستعمارية جريدة " كوكب إفريقيا " ( ما بين 1907 و 1914 ) و

جريدة " النجاح " ( ما بين 1919 و 1956 ) اللتين عوضتا جريدة " المبشر " ، بعد مرحلتها الثانية ، أو مثل عمر راسم و المولود الزربي الأزهري الذي أنشأ فيما بعد صحف أهلية غير حكومية ، كما تخرج كذلك عن جريدة " المبشر " عدد من المترجمين والتقنيين الحرفيين الذين كانوا دعائم النشاط الصحفي في الجزائر " .(17)

إن التحيز الكلي الذي اتصفت به الصحافة الحكومية ، المشبع بالطابع العنصري ظن و في طبيعتها صحيفة " المبشر " ، ثم جريدتنا " كوكب إفريقيا " و " النجاح " ، و تفرغها لنشر كل ما يصدر عن المسؤولين الرسميين الفرنسيين من نصوص تشريعية ، و بيانات حكومية و أوامر مهمشين كل انشغالات الأهالي و أحوالهم الاجتماعية حتى لا تثير انتباه المسؤولين و تنبهم إلى الظروف السيئة التي يعيش فيها المسلمون الجزائريون .

إن الخط الصحفي من قبل هذه الصحف المعلنة عن ولائها الكلي للحكومة و المشجع للسياسة الاستعمارية في الجزائر لم يكن يخدم سوى مصالح ضيقة لفرنسا ، و خوفا من فقدان فرنسا لمصالحها ، و ظهور انفجار الأهالي<sup>(4)</sup> ، التزمت مجموعة من الفرنسيين المؤمنين بضرورة بقاء الجزائر أرض فرنسية بإنشاء صنف آخر من الجرائد الحكومية التي تتظاهر بأنها تدافع عن حقوق الجزائريين و تستنكر ما تقوم به الحكومة الاستعمارية من أعمال تعسفية في حق الأهالي ، داعين السلطات الفرنسية إلى الاهتمام و الانشغال بقضايا المسلمين الجزائريين و هم يسعون من وراء ذلك إلى كسب الجزائريين خدمة و تحصيلنا للوجود الفرنسي ، و كان في طبيعة هذا الصنف من الجرائد ، جريدة " المنتخب

" و هي جريدة أسبوعية تصدر باللغتين الفرنسية و العربية ، تأسست في شهر أفريل 1882.مدينة قسنطينة.(18)

و قد تمكنت هذه الجريدة من جلب فئة المسلمين المثقفين بالعربية إلى المساهمة بأقلامهم العربية في عملها الإعلامي ، لاقتناعهم بأنها تدافع عن حقوقهم . و تعميما لهذا الصنف من الصحف العمومية التي كان لها دور كبير في نشر السياسة الاستعمارية بطرق خاصة ، بادرت فئة من المستشرقين إلى إنشاء مجموعة من الجرائد إلى جانب جريدة المنتخب<sup>(19)</sup> ، نذكر منها جريدة " النصيح " التي أصدرها المستشرق إدوارد جسلين سنة 1899 و جريدة " الأخبار " التي أصدرها المستشرق فكتور باروكاند سنة 1902 في مدينة الجزائر.(20)

إلا أن عمر هذه الجرائد كان قصيرا في معظمها ، بسبب بعض مواقفها التي أثارت غضب السلطات الاستعمارية و سخطها عليها ، لأن مسيرتها أرادوا تقديم يد النجدة للفئة الجزائرية المثقفة على وجه الخصوص ، حتى لا تياس من الوجود الفرنسي في الجزائر ، و بتحقيق ذلك يكونون قد قدموا لوطنهم أحسن الخدمات ، و هي استمرار الوجود الفرنسي في الجزائر .

بقيت هذه الجرائد تصارع الظروف من أجل البقاء إلى غاية ما بعد الحرب العالمية الأولى مثل جريدة " منبر الأهالي " الصادرة سنة 1927 في مدينة الجزائر، و جريدة " الجزائر الجمهورية " التابعة للحزب الاشتراكي الشيوعي الفرنسي الصادرة سنة 1937 في مدينة الجزائر<sup>(21)</sup> ، بدون أن تترك أثرا ذا بال بالنسبة للرأي العام الجزائري .(22)

وهكذا ظلت الصحافة الحكومية قائمة بنوعيتها ، الموالية كل الولاء للسلطات الاستعمارية ، و ذلك بنشرها النصوص التشريعية ، و الأوامر و البيانات

الحكومية ، و تلك التي تتظاهر بأنها وجدت من أجل الدفاع عن حقوق الجزائريين ، لكن لا هذه و لا تلك تمكنت من توقيف نضال الشعب الجزائري الذي عرف مسارا طويلا و شاقا ، حيث تقرر إنشاء جرائد خاصة بالجزائريين للدفاع عن مصالحهم ، بالموازاة مع الجرائد الحكومية التي وجدت من أجل تزكية و تحصين الاستعمار في الجزائر ، و قد عرف هذا النوع من الجرائد بالصحافة الأهلية التي كانت حقا ثمرة ظهور الصحافة الوطنية في وقت لاحق .

### الصحافة الأهلية :

نعني بالصحافة الأهلية تلك الجرائد التي كان يتولى المسلمون الجزائريون تحريرها و توزيعها إداريا و ماليا .

جاءت الصحافة الأهلية في وقت متأخر ، و ترجع بدايتها إلى جريدة " الحق التي ظهرت في مدينة عنابة بتاريخ 30 جويلية 1893 (23)

يقول الأستاذ زهير إحدادن عن موضوع تأخر الصحافة الأهلية إلى الظهور ما يلي :

" و لم يظهر للجزائريين أي دور في مجال الصحافة إلا في أواخر القرن التاسع عشر عندما أصدر سليمان و سمر جريدة « الحق » في عنابة بتاريخ 07 / 30 / 1893 باللغتين العربية و الفرنسية » (24)

ظهرت الصحافة الأهلية ، موازية للصحافة الحكومية في ظروف سيئة كان المسلمون الجزائريون يعانون فيها جميع أنواع الاستغلال و البطش و الاستيلاء على أرزاقهم و ممتلكاتهم ، و حينها أدرك المثقفون الجزائريون أهمية الصحافة كوسيلة فعالة لتشرح مشاكلهم و توصل مطالبهم للحكومة الفرنسية التي كانت هي نفسها تبدي قلقا كبيرا إزاء تصرفات ممثليها في الجزائر. (25)

و لتفادي الانفجار الشعبي الذي يوشك على الوقوع ، سمحت الحكومة الفرنسية في باريس للنخبة المثقفة بإنشاء الصحف و قد كان معظمها من الأهالي المتخرجين من المدارس الفرنسية الذين أدركوا أهمية الدفاع عن حقوقهم و التعبير عن مطالبهم بحكم احتكاكهم و ممارستهم لمهنة الصحافة ، و كان معظمهم يجيدون اللغتين العربية والفرنسية ، و يتقنون جيدا فن الصحافة لأن معظمهم سبق و أن عمل محررا في قطاع الصحافة و على وجه الخصوص جريدة " المبشر " (26).

باشر هؤلاء على الفور إنشاء هذا النوع من الصحف لاستغلالها في التعبير عن سخطهم و مشاكلهم و مطالبهم تجاه الأعمال الدنيئة التي تقوم بها السلطات الاستعمارية في حق المجتمع الجزائري ، و كانت البداية بإصدار جريدة " الحق " السابقة الذكر. (27)، تلتها في ما بعد جريدة " المغرب " الصادرة سنة 1903 في مدينة الجزائر و استمرت إلى غاية سنة 1913 ، ثم جريدة « الصباح " سنة 1904 الصادرة في مدينة وهران لمدة سنة واحدة (28) ، إلى غير ذلك من الصحف التي عرفتها المرحلة .

لقد كانت الحاجة جد ماسة إلى هذا النوع من الصحافة ، لأنها تجسد إحدى مراحل تطور المجتمع الجزائري الذي أصبح يثق في نفسه ، و يخوض ميدان الصحافة لأول مرة في تاريخه للتعبير عن القضايا الإسلامية الجزائرية . و ما يلاحظ عن حياة هذه الجرائد أنه لم يكتب لها أن تعمر طويلا ، حيث عانت طوال الفترة الممتدة من 1893 إلى 1907 صعوبات جمة و فرضت عليها كل أنواع الرقابة و الضغوطات ، بسبب النهج المعادي الذي اتخذته إزاء الاستعمار و ذلك بإبراز الأحوال المزرية للمسلمين ، و كذا التعرض إلى موقف

بعض الحكام المعروفين بعداوتهم الشنيعة في حق الجزائريين و بعض اليهود الذين استغلوا فقر المسلمين الجزائريين ، رغم أنها لم تتعرض في مقالاتها ، و كتاباتها إلى الموضوع الجوهرى الذي يجب تناوله ، و هو التنديد و الاستنكار القطعى بالوجود الاستعماري في الجزائر<sup>(29)</sup>

و الواقع أن اتخاذ مثل هذا الموقف ليس سهلا على الصحافة الأهلية لأن أمر توقيف الجرائد عن الصدور أصبح سلوكا عاديا و إجراء معروفا لدى العام و الخاص ، تتخذة فرنسا ضد كل جريدة خاصة الصادرة منها باللغة العربية ، كلما شعرت بشيء من المساس لمصالحها عند مطالبة هذه الصحف بحقوق الأهالي ، أو تولي الدفاع عنهم<sup>(30)</sup> ، رغم تزامن هذه الصحف مع فترة الحاكم العام شارل جونار<sup>(31)</sup> ، المعروف بسياسته الصورية التي يكن فيها نوعا من الحب و التعاطف مع الأهالي ، و احترام التراث الإسلامي ، و الثقافة الإسلامية وللبرهان على ذلك راح ينجز العديد من البنايات على الطراز الإسلامي ، مثل بناية البريد المركزي في العاصمة ، و بناية مركز تعميم التعليم و غيرها ، كما خف الخناق على الصحف و تنفست في عهده الصحافة الأهلية بنوعيتها ، العربية و الفرنسية ، ووصلت إلى حدّ تلقي التشجيع و الحماية من طرف جونار .

إن إصدار جريدة " الأخبار " عام 1902 باللغة الفرنسية ، التي تلقت الدعم المادي من طرف السلطات الاستعمارية دليل على ما قدمه جونار من مساعدة للصحافة الأهلية بغية كسبها و توجيهها في خدمة الرسالة الاستعمارية في الجزائر<sup>(32)</sup> .

كما أن تنصيب شارل جونار حاكما عاما على الجزائر ، تزامن مع فترة تطور المجتمع الجزائري الذي أصبح يحس بضرورة بقاء الصحافة الأهلية التي كادت أن تندثر ، بفعل التوقيفات الاستعمارية لها ، لكونها تعد الوسيلة الوحيدة للصمود أمام الواقع المر الذي فرضه الاستعمار ، وقد كانت النخبة المثقفة في مقدمة المجتمع إذ عازمت على استغلال هذه الفرصة الاستعمارية المزيفة لترجّح الكفة لصالحها ، و ذلك بوجوب إحياء الصحافة الأهلية ، جاعلة منها وسيلة كفاح ، و تضحية و دفاع عن الحقوق المسلوبة من قبل الغزاة ووسيلة لإثبات الذات و الشخصية الجزائرية و الصمود في وجه الصحافة الحكومية التي تبرّر و تزكي الأفعال الإجرامية التي تقوم بها السلطات الاستعمارية في كل فرصة تتاح لها في حق المسلمين الجزائريين .

إن نمو الوعي الجزائري الذي عرفته هذه الفترة ، أدى إلى ظهور انطلاقة حقيقية للصحافة الأهلية التي تنسب إلى ميلاد جريدة " كوكب إفريقيا " الصادرة سنة 1907 في مدينة الجزائر<sup>(33)</sup>، و بذلك تعود الصحافة الأهلية من جديد و بكل قواها مغتمة ظرف وجود جونار في الحكم لتفرض نفسها متحدية كل الصعاب .

و من ثمّ أصبح لكل طرف جرائده الخاصة ، فالحكومية تدافع على مصالح الاستعمار ، و تمجد أعماله التي تدعى بأنها تخدم الأوربي و المسلم على السواء ، و الأهلية من جهتها تعمل قصارى جهدها من أجل إثبات الوجود الجزائري . لكن اختلاف الطرح و الاتجاه أدّى إلى اشتداد الصراع فيما بينها بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، حيث كانت الصحافة الأهلية سببا في نمو الوعي الجزائري ، إذ سمحت له بالاحتكاك بالغير و الاطلاع على نضال و كفاح

شعوب عانت كثيرا من القهر و الاستغلال الاستعماري ، و يتجلى هذا النمو واضحا في المراحل التي خاضتها الصحافة الأهلية ، حيث كانت عند نشأتها ترغب في منافسة الصحافة الحكومية في الميدان ، لكن دوام هذا النوع من الصحافة جعلها تتخذ عدة مسالك مختلفة و متشعبة ، في أطروحاتها و في وجهة نظرها من حيث الطبيعة التي ينبغي أن يكون عليها الكيان الجزائري . فركز بعضها على الجانب الاقتصادي و البعض الأخرى على الجانب الثقافي مهملة الجانب السياسي .

فقد كانت جريدة " الفاروق " 1913 - 1915 و " ذو المقار " 1913 - 1914 و " الصديق " 1920 ، تدعو إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي و بالثقافة الإسلامية بصفة عامة ، واستفادت من الزيارة التي قام بها الشيخ محمد عبده إلى الجزائر عام 1903 ، الذي ينسب إليها نصيب من الفضل في انتعاش الفكر العربي الإسلامي في الجزائر . جاء في افتتاحية جريدة " الفاروق " :  
" و لعدم وجود جريدة إسلامية بكل معاني الكلمة في هذه العاصمة ، بل في هذا القطر ، أصدر عمر بن قنور الجزائري جريدة " الفاروق " الأسبوعية في 18 / 02 / 1913 " . (33)

و الجدير بالذكر أن هذه الجرائد لم تكن لها أهداف أخرى دينية و ثقافية ، بل كانت تحث على الاهتمام بالجانب الاقتصادي داعية إلى المزيد من العناية بالزراعة و التجارة و الصناعة حتى لا يبقى المجال مفتوحا للمعمرين فقط .  
أما الصحف التي اهتمت بالجانب السياسي فقد كانت تؤيد السياسة الفرنسية في الجزائر في معظم طروحاتها ، و ترحب بالحقوق السياسية و الثقافية التي يمنحها القانون الفرنسي للجزائريين مقابل الاندماج و الفرنسية ، بما في ذلك

قانون التجنيد الإجباري للجزائريين الذي كان سببا في هجرة عدد كبير من العائلات إلى المشرق العربي<sup>(34)</sup> ، ومن بين الصحف التي كانت تمثل هذا الصنف نذكر على سبيل المثال جريدة « الإقدام » الصادرة في مدينة الجزائر سنة 1919 تحت عنوان ( الإقدام ، الإسلام ، الراشيدي ) ، واستمرت في الصدور حتى سنة 1923.<sup>(35)</sup>

و عند نهاية الحرب العالمية الأولى صدر قانون 4 فيفري 1919 الذي سمح للجزائريين بالعودة إلى النشاط الصحفي بعد انتظار دام طوال الحرب ، ظهر صنف ثالث من الجرائد الأهلية يتوسط الصنفين السابقين الذكر ، بزعامة الأمير خالد ، حفيد الأمير عبد القادر ، أملا في كسب الشعبية عن طريق تفادي عيوب الصحافة السابقة ، ولتحقيق ذلك تبني في برنامج حركته الاندماج السياسي كأسلوب من أجل التمتع بالحقوق التي يمنحها القانون الفرنسي للجزائريين ، لكن مع التمسك بالشخصية الجزائرية ، و القيم الإسلامية التي تعد ركيزة الثقافة الإسلامية التي ينتسب إليها الجزائري.<sup>(36)</sup> متأثرا في ذلك بالأحداث التي عرفتها الحرب العالمية الأولى و ما نجم عنها من نتائج و ظهور للحركات القومية في أكثر من بلد عربي و منها الثورة العربية 1916<sup>(37)</sup> ، وبدا واضحا لجماعة الأمير خالد بأنه من العسير أن يبقى المجتمع الجزائري بعيدا عما يجري من تفاعلات على الساحة السياسية دون الاستجابة أو على الأقل التفاعل معها بغية الاستفادة منها كسائر الشعوب الأخرى الشبيهة بالمجتمع الجزائري في أوضاعها و ظروفها .

وانضم إلى هذا الاتجاه الجديد الذي يمزج بين الاندماج و الفرنسة من جهة و البقاء على الشخصية الجزائرية — الإسلامية من جهة أخرى ، الكثير من

الصحف بما فيها تلك التي كانت تنتمي إلى الصنفين السابقين ، بل أصبح بعضها يتزعم ريادة جرائد هذا الاتجاه مثل صحيفة " الصديق " و " الإقدام " ، التي تحولت إلى لسان حال مسلمي شمال إفريقيا ، و بذلك أصبحت حركة الأمير خالد تشكل قطبا بذاته منافسا لذوي الاندماج و دعاة المحافظة على الشخصية الجزائرية — الإسلامية ، و ساعده في ذلك العمل بمجموعة من المثقفين الجزائريين المعروفين باسم نخبة الشباب الجزائري. (38)

إن صعود هذا التيار ، و التفاف الشعب حوله ، أقلق السلطات الاستعمارية التي عملت كل ما في وسعها من أجل سدّ الطريق في وجهه و تحطيمه قبل فوات الأوان ، و لكنه أصبح يستقطب الرأي العام الجزائري و يوشك على الانفراد بالزعامة . ولتفادي ذلك قامت السلطات الاستعمارية بفرض المراقبة عليه و توقيف الكثير من صحفه ، كما كان الشأن بالنسبة لجريدة " الصديق " سنة 1922 و " الإقدام " سنة 1923 .

إن تصلب فرنسا تجاه هذا الصنف من الجرائد ، لم يحقق لها ما كانت تصبو إليه ، بل تشجع مسؤولو الصحف أكثر من ذي قبل للعمل من أجل كشف فضائح السلطات الاستعمارية للرأي العام المحلي ، و الصمود أمام كل التصرفات القمعية و التهديدية الصادرة عن السلطات الفرنسية .

هذا التصلب القائم بين الطرفين أدى إلى ميلاد تيار جديد في المجتمع الجزائري ، و هو التيار الوطني ، و بظهور هذا التيار ، انتقلت الصحافة الجزائرية من الصحافة الأهلية إلى الصحافة الوطنية .

الهوامش

- 1 — زهير إحدادن " الإعلام الجزائري أثناء الثورة " ، محاضرة ألقاها في ندوة الصحافيين الجزائريين التي انعقدت بالجزائر ، في شهر ماي 1983 .
- 2 — زهير إحدادن : " ظاهرة الصحافة في الشرق الجزائري " ، عرض ألقاه بمناسبة انعقاد الأيام الدراسية حول الفتوحات الإسلامية من 25 إلى 27 نوفمبر 1987 بمدينة سيدي عقبة ، بسكرة .
- 3 — سيف الإسلام الزبير: " علم الإعلام و السياسة الإعلامية في العالم الثالث " ، مطبوعات المركز العربي للدراسات الإعلامية ، 1981 ، ص ، 10 .
- 4 — سيف الإسلام : " تاريخ الصحافة في الجزائر " ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1971 ، ص ، 12 .
- اختلف الباحثون في تسمية الجريدة ، حيث سماها البعض الآخر " لستفيت دي سيدي فرج Estafette de Sidi-Feruch " أمثال إسكير قابريال في كتابه **Les débuts de la presse Algérienne** ، و كذا زهير إحدادن في كتابه الصحافة المكتوبة في الجزائر.
- 5 — هذا مقطع من نص الرسالة التي بعث بها قائد عام الحملة الفرنسية في الجزائر إلى الأمير بولنيك موضحا له أغراض و دوافع تأسيس الجريدة فيقول " إن جميع محررينا هم منخرطون في صفوف الحملة العسكرية و موزعون تحت ألقاب و رتب مختلفة ، فالضابط في مختلف الجيوش و الأسلحة و رجال الثقافة و العلماء و التقنيون يجب عليهم أن يقدموا المادة و أن يزودوا هيئة التحرير بمشروعات كبيرة ... "
- 6— عواطف عبد الرحمن « الصحافة العربية في الجزائر » ، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954 — 1962 ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، 1978 ص 24،
- 7 — سيف الإسلام الزبير، المرجع السابق ، ص ، 24 .
- 8 — عواطف عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ، 25 .
- 9 — نفس المرجع و الصفحة .
- 10- Zahir IHADDADEN : **Histoire de la presse indigène en Algérie , des origines jusqu'en 1930**, ENAL , Alger , 1983 , p. 9 .
- 11 — زهير إحدادن : مرجع سابق ، ص ، 26 .

- 12 — أحمد الخطيب " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و أثرها الإصلاحية في الجزائر " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985 ، ص ، 71 .
- 13 — إبراهيم لونيبي " القضايا الوطنية في جريدة المبشر " ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 1994 ، ص ، 26 .
- 14 — اختلف زهير إحدادن عن سيف الإسلام الزبيري في تحديد تاريخ ميلاد المبشر ، فالأول ينسبها إلى سنة 1847 ، والثاني ينسبها إلى سنة 1848 .
- 15 — زهير إحدادن : الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق ، ص ، 28 .
- 16 — عواطف عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص ، 26 .
- 17 — جريدة المبشر الصادرة بتاريخ 22 أوت 1866 .
- 18 — زهير إحدادن : مرجع سابق ، ص ، 29 .
- 19 — زهير إحدادن : مرجع سابق ، ص ، 30 .
- 20 — محمد صالح ناصر، مرجع سابق ، ص ، 17 .
- 21 — عواطف عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص ، 27 .
- 22 — نفس المرجع والصفحة .
- 23 — زهير إحدادن : مرجع سابق ، ص ، 32 .
- 24 — أديب مروة : " الصحافة العربية ، نشأتها و تطورها " ، منشورات دار مكتبة الحياة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1961 ، ص ، 396 .
- 25 — محمد صالح ناصر ، مرجع سابق ، ص ، 18 .
- 26- Zahir IHADDADEN : « Histoire de la presse indigène en Algérie » , (thèse pour le doctorat de 3e cycle ) , paris , 1979 , p. 51 .
- 27 - Ali MERAD : La formation de la presse musulmane en Algérie , ibla n°103 , institut de belles lettres arabes , Tunis , 1964 , p . 31 .
- 28 — عواطف عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ، 29 .
- 29 — زهير إحدادن : المرجع السابق ، ص ، 35 .
- جريدة " الحق " ، جريدة أسبوعية ، صدرت بتاريخ 30 جويلية 1893 في مدينة عنابة و هي مزدوجة اللغة (فرنسية و عربية ) ، تحت إشراف السيداين : نبقي و سمار العيون ، أوقفت عن الصدور بتاريخ 25 / 03 / 1894 .
- Ali MERAD : op, cit. p . 16 -30
- 31 — عواطف عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ، 30 .
- 32 — محمد صالح ناصر ، مرجع سابق ، ص ، 18 .

- 33 — نصب شارل جونار حاكما عاما على الجزائر ، ثلاث مرات :  
— أما الفترة الأولى: من 1900 إلى 1902 .  
— الفترة الثانية : من 1903 إلى 1913 ، و هي أطول فترة في حكمه .  
— الفترة الثالثة : سنة 1918 ، وعزل في نفس السنة ، عرف جونار بانتهاجه سياسة فريدة من نوعها  
إزاء المسلمين الجزائريين ، تبدو ظاهريا لصالح الأهالي ، و يبدو ميالا للجزائريين بتشجيعه للثقافة العربية  
الإسلامية ، الشيء الذي دفع بالمعمرين إلى حدّ القول عنه بأنه " عربي " غير أن كل ما في حقيقة الأمر ،  
أن هذه الطريقة التكتيكية التي اتخذها جونار هي محاولة جديدة للتحكم أكثر في توجيه و تطويق النضال  
الجزائري و جعله في خدمة مستقبل فرنسا في الجزائر .  
— للمزيد ، أنظر :
- أبو القاسم سعد الله ، " الحركة الوطنية الجزائرية 1900 — 1930 " ، ج 2 ، ط 3 ، (ش، و،  
ن، ت) ، 1983 ، ص، 85 .
- عبد الرحمن بن ابراهيم بن عقوب : " الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصرة  
1920 — 1936 " ، ج 1 ، ط 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص، 74 .
- 34 — زهير إحدادن ، " الصحافة الثقافية في الجزائر " ، منشورات دراسية ، المجلة الجزائرية للاتصال،  
الجزائر ، مارس 1988 .
- 35- Zahir IHADDADEN: « Histoire de la presse indigène en Algérie , des  
origines jusqu'en 1930 » , op, cit. p . 202 .
- 36 — محمد صالح ناصر من مرجع سابق ، ص، 19 .
- 38 — عواطف عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ن ص 31 .
- Ali Merad : op, cit. p. 17 -39
- 40 — يوسف مناصرية : " الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919 —  
1939 " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 ، ص ، 10 .
- Ali Merad : op, cit. p . 18 -41
- 42 — عواطف عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص، 33 .

## قائمة المراجع

- 1 — إحدادن زهير : " الصحافة الثقافية في الجزائر " ، منشورات دراسية ، المجلة الجزائرية للاتصال الجزائر ، مارس 1988 .
- 2 — " " : " الإعلام الجزائري أثناء الثورة " ، محاضرة ألقاها في ندوة الصحفيين الجزائريين التي انعقدت بالجزائر ، في شهر ماي 1983 .
- 3 — " " : " ظاهرة الصحافة في الشرق الجزائري " ، عرض ألقاه بمناسبة انعقاد الأيام الدراسية حول الفتوحات الإسلامية من 25 إلى 27 نوفمبر 1987 بمدينة سيدي عقبة ، بسكرة .
- 4 — بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم : " الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصرة 1920—1936 " ، ج 1 ، ط 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
- 5 — الخطيب أحمد : " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و أثرها الإصلاحي في الجزائر " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985 .
- 6 — الزبير سيف الإسلام : " تاريخ الصحافة في الجزائر " ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1971 .
- 7 — " " " : " علم الإعلام و السياسة الإعلامية في العالم الثالث " ، مطبوعات المركز العربي للدراسات الإعلامية ، 1981 .
- 8 — سعد الله أبو القاسم : " الحركة الوطنية الجزائرية 1900 — 1930 " ، ج 2 ، ط 3 ، (ش، و، ن، ت) ، 1983 .
- 9 — لوئيسي إبراهيم : " القضايا الوطنية في جريدة المبشر " ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 1994 .
- 10 — مروة أديب : " الصحافة العربية ، نشأتها و تطورها " ، منشورات دار مكتبة الحياة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1961 .
- 11 — مناصرية يوسف : " الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919 — 1939 " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 .

**: Histoire de la presse indigène en Algérie , des origines jusqu'en 1930**, ENAL , Alger , 1983 .

2 - IHADDADEN Zahir : « **Histoire de la presse indigène en Algérie** » , (thèse pour le doctorat de 3e cycle ) , paris , 1979 .

3 - MERAD Ali : **La formation de la presse musulmane en Algérie** , ibla n°103 , institut de belles lettres arabes , Tunis , 1964.